وقفة أخرى مع عبد الله الأحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن عبد الله بن عبد الرحمن الأحمد من الذين تولوا كبر الفتنة الحاصلة في الساحة السلفية في الوقت الحاضر، وهو من المؤججين لنيرانها ولا يرضى بإطفائها أبدًا، ولذلك لما نشر أحد طلاب العلم مقاله[١] الذي أثبت فيه أن النزاع الواقع بين الشيخ د. محمد بن هادي المدخلي –بصره الله بالحق– وبَيْن من ينبزهم بلقب الصعافقة ومن يدافعون عنهم نزاع شخصي لا منهجي بناءً على العبارات الجلية التي فلتتْ من لسان الشيخ محمد بن هادي حينما أعلن توبته من الإساءة التي بدرت منه تجاه الشيخ الوالد صلفيق الظفيري –رحمه الله– أثناءَ خروجه عن صُماته، خاف الأحمد أن هذا المقال سيُضعِف نار الفتنة التي له فيها مآرب، فلم يلبث الأحمد مَليًّا حتى بعث رسالة تشغيب[٢] ليحمي نيران الفتن التي أشعلها بين السلفيين من صب الماء البارد عليها.

قال الأحمد في صدر رسالته: «إن البعض يصور أن ما يحدث الآن في الساحة السلفية هي قضية شخصية تتعلق بالشيخ محمد بن هادي حفظه الله والصعافقة، وهذا الكلام غير صحيح على الإطلاق، بل ما يدور الآن هو صراع بين الحق والباطل. وهذا يذكرني بأيام فتنة فالح[٣] عندما قام شيخنا العلامة

---

(١) هو أبو عمر الظفيري، وعنوان مقاله: «المسألة شخصية وليست منهجة»، وقد نشره الشيخ عبد الله بن صلفيق الظفيري –حفظه الله– عبر حسابه في تويتر.

(٢) نشرها عبر الواتس آب بعنوان: «هل ما يدور الآن في الساحة السلفية قضية شخصية أو صراع بين الحق والباطل».

(٣) هو فالح بن نافع بن فلاح المخلفي الحربي، كان يعد من العلماء السلفيين الذين يعتبر قولهم، حتى كشف

ربيع بن هادي حفظه الله في وجه فالح ومن معه...»، ثم حكى قصةً يدعي أنها وقعت، ولا فائدة في إعادة ذكرها.

وقد أبعد الأحمد النُّجْعَةَ بهذا التشبيه، ومَثَله قولُ النبي ﷺ: «**يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه، وينسى الجذع – أو: الجدل – في عينه معترضًا**»[1]، وكما قال الشاعر:

قَتْلُ امرئ في غابةٍ جريمةٌ لا تُغْتَفَر وقَتْلُ شَعْبٍ كاملٍ قضيةٌ فيها نَظَر

فإن الطريق الذي سلكه الشيخ محمد بن هادي المدخلي في الطعن في السلفيين الذين ينبزهم بلقب الصعافقة والتحذير منهم هو الذي يذكِّرنا بأيامَ فتنة فالح في الحقيقة، وذلك لمشابهة طريقته الكبيرة بمنهج فالح الذي حذَّر منه العلماء وعلى رأسهم العلامة ربيع بن هادي المدخلي –حفظه الله–، وسيتضح ذلك من خلال الفقرات الآتية، وسأبدأ ببيان الموقف الصحيح من جرح من اشتهر بالسلفية بغير دليل، ثم أذكر انحراف فالح عن الحق في هذه القضية، وبعد ذلك أثبت أوجه الشبه بين طريقة الشيخ محمد بن هادي المدخلي وطريقة فالح في تجريحهما للسلفيين، وأخيرًا أقفُ وَقْفَتِي مع عبد الله الأحمد.

من اشتهر بالسلفية لا يقبل فيه جرح جارح إلا بحجة وبرهان

إذا ثبتت عدالة شخص ثم جرحه جارح فلا بد أن يبين الجارح ما هي الأسباب التي من أجلها جرحه، وإلا فلا يُعْدَل عن الأصل –وهو ثبوت عدالته– لجرحه، كما قال العلامة ربيع المدخلي –حفظه الله–: «عند تعارض الجرح والتعديل **لا بد من بيان أسباب الجرح، فإذا بين العالم الناقد المعتبر حجته أو حججه المعتبرة فحينئذ يُقدَّم الجرح على التعديل** ولو خالفه عشرات المعدلين، ولو تمادى

العلامة ربيع بن هادي المدخلي –حفظه الله– عن أصوله الفاسدة في ردوده المتينة المبنية على الحجة والبرهان ورسوخ العلم وقوة البصيرة بعيدًا عن السب والشتم والتنابز بالألقاب والاتهامات الفارغة والدعاوى العارية عن الدليل كما هو منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف، فأقنعت ردوده الناسَ بانحراف فالح عن المنهج السلفي وانفضوا من حوله، وذابت مكانته ذوبان الملح في الماء الحار.

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم ٥٩٢)، وابن حبان في صحيحه (رقم ٥٧٦١)، وأبو نعيم في الحلية (٤/٩٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (رقم ٣٦٣٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٣).

أحد في تعديله بعد قيام الحجة سقط»[1].

وما قرره الشيخ ربيع هو مذهب أئمة الحديث كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في قوله: «**الجرح بعد ثبوت العدالة لا يُقْبَل إلا مبين السبب؛ لاحتمال أن يكون إذا بُيِّن غيرَ قادحٍ في عدالة الراوي**، وكلام من أطلق قبول الجرح من غير بيان سببه محمول على ما إذا لم يعارضه توثيق، وإذا كان كذلك فقد أثبت عدالةَ الزَّمعيِّ[2] أعرفُ الناس به: عبد الرحمن بن مهدي، وكذا قدوة أهل الحديث في معرفة أحوال الرواة يحيى بن معين، فلا يُعدَل عن هذا التعديل إلا بجرح بَيِّن، **وعلى هذا عمل أئمة الحديث كصاحبَيْ الصحيح**، فقد احتجا في صحيحيهما بجماعة تَكَلَّم فيهم غيرُهما، وحالهم في الغالب محمول على ما قررناه»[3].

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- أيضًا: «إن كان من جرح مجملًا قد وثَّقه أحدٌ من أئمة هذا الشأن **لم يُقْبَل الجرحُ فيه من أحد كائنًا من كان إلا مفسَّرًا**؛ لأنه قد ثبتت له رتبة الثقة، **فلا يزحزح عنها إلا بأمر جلي**»[4].

فدلت هذه النصوص على أنه يشترط في قبول جرح الجارح لمن ثبتت عدالته أن يبين الأسباب والحجج التي من أجلها تكلَّم فيمن جرحه، فمن جرح شخصًا بدون أن يذكر السبب أو كانت حجته عليه ضعيفة فجرحه مردود ولو كان الجارح من العلماء، ولا يختص هذا بباب الرواية، بل حتى في باب التبديع، كما بين ذلك الشيخ ربيع[5].

وقرر العلامة ربيع المدخلي -حفظه الله- أن **اشتهار الشخص بالدين والسنة والسلفية والدعوة لها أقوى من التعديل الصادر من عالمٍ أو عالمين.**[6]

---

(١) المجموع الواضح في رد منهج وأصول فالح، ضمن مجموع كتب ورسائل وفتاوى فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي (٩/٣٢٥).

(٢) هو موسى بن يعقوب أحد رواة الحديث الذي يتكلم عليه الحافظ ابن حجر.

(٣) جزء فيه الكلام على حديث «إن أولى الناس بي أكثرهم علي صلاة» (ص ٣٣).

(٤) تدريب الراوي (ص ٣٠٨).

(٥) المصدر السابق (٩/١٥٠، ١٥٥-١٥٦).

(٦) المصدر السابق (٩/١٤٨).

وذكر أن هذه القاعدة في تعارض الجرح والتعديل **من قواعد أهل السنة دون ريب، وأنه يجب تطبيقها حين يُبدَّع مسلم اشتهر بالسلفية،** أو يفسَّق، أو يُرمَى بالكفر، أو الجاسوسية والعمالة[١].

فمن جرح شخصًا اشتهر بأنه سلفي ومن الدعاة إلى منهج السلف فلا يقبل جرحه فيه إلا إذا أتى الجارح بالدليل الذي لا يقبل التأويل على أحقية جرحه، لا سيما إذا عدَّله بعض العلماء وزكوه فإن الأمر أشد، كما قال الإمام محمد بن نصر المروزي -رحمه الله-: «كل رجل ثبتت عدالته لم يقبل فيه تجريح أحد حتى يبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه»[٢].

وهذه القاعدة السنية تسد الذريعة إلى الطعن في أعراض المسلمين وتبديعهم بغير حق، كما ذكر ذلك الشيخ ربيع -حفظه الله- في قوله عن القاعدة: «هي من صميم العدل الذي جاء به الإسلام؛ لأن العالم قد يخطيء في الجرح أو في التعديل، فيصحح أخوه خطأه في هذا أو هذا، وقد يجرح العالم بغير جارح، فيرد العلماء النقاد جرحه إنصافًا لمن وقع عليه هذا الجرح»[٣].

كما أن تطبيقها يمنع وقوع التنازع والاختلاف، لذلك قال العلامة ربيع -حفظه الله-: «إذا وقع من طرف أو من الأطراف تبديع أو تضليل فلا بد من بيان أسباب هذا التبديع بيانًا شافيًا تقوم به الحجة، ويقطع به دابر الفتنة، ويُظهِر للناس أن أحكام الطرف المبدِّع قامت على علم، وحجة، وبرهان»[٤].

طريقة فالح الحربي في الطعن في أناس اشتهروا بالسلفية بدون حجج وآثارها السيئة

إن طريقة فالح الحربي: الطعن في أناس اشتهروا بالسلفية بدون حجج وبراهين، كما ذكر ذلك فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله ورعاه- في قوله: «إن الشيخ فالحًا قد نصب نفسه مفتيًا في قضايا خطيرة جدًا داخل المملكة وخارجها، فأضر بأناس كثير حيث بدّعهم، وطعن

---

(١) المصدر السابق (٩/١٥٥).

(٢) تهذيب التهذيب (٤/٥٥٥).

(٣) المجموع الواضح في رد منهج وأصول فالح، ضمن مجموع كتب ورسائل وفتاوى فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي (٩/١٥٠).

(٤) المصدر السابق (٩/١٥٦).

فيهم، وشوه سمعتهم في داخل المملكة وخارجها، فأضر بالدعوة السلفية وأهلها، وشوهها هو وأتباعه.

وكان علماء المنهج السلفي قد أدركوا خطورة هذا الاسترسال في البطش بالسلفيين وإسقاطهم فناصحوه مرارًا وتكرارًا، ولفتوا نظره إلى خطورة هذا الاتجاه وإلى العواقب الوخيمة التي ستترتب على هذا المسلك الخطير، لكنه أبى إلا التمادي **والطعن في الناس بدون حجج ولا براهين**، ووجد الجهلاء والمتربصون بالمنهج السلفي طِلْبَتهم في فالح، فالتفوا حوله يؤزونه أزًّا بالمدائح شعرًا ونثرًا».(١)

وقد حذَّر العلامة ربيع المدخلي –حفظه الله– فالحًا من الأضرار المترتبة على مخالفته لمذهب أئمة الحديث بالطعن فيمن اشتهر بالسلفية بدون حجج قوية، فقال: «إذا لم تأت بالأدلة وأسباب هذا الجرح رأى الناس أنك قد ظلمتهم وتعديت عليهم وطعنت في دينهم بغير وجه حق، فصرت متهمًا عند الناس فتحتاج إلى استبراء دينك وعرضك، فإن لم تفعل طعن فيك الناس ولن ترضى أنت ولا غيرك بهذا الطعن، فتقوم الفتنة ويحصل الاختلاف بين السلفيين وتكثر الطعون المتبادلة ولا يحسم ذلك إلا بذكر الأسباب المقنعة بهذا الإخراج، وقد تطالِب أنتَ نَفْسُك بذكر الأسباب إن جرحك أحد أو أخرجك من السلفية».(٢)

وبين العلامة ربيع بن هادي المدخلي –حفظه الله– لفالح مخالفة طريقته في تجريح السلفيين بدون أدلة لطريقة أئمة أهل السنة في الرد على المخالفين ونقد مذاهبهم، حيث قال: «ألا ترى أن علماء السلف قد أقاموا الحجج والبراهين على ضلال الفرق من روافض وجهمية ومعتزلة وخوارج وقدرية ومرجئة وغيرهم ولم يكتفوا بإصدار الأحكام على الطوائف والأفراد بدون إقامة الحجج والبراهين الكافية والمقنعة، بل ألفوا المؤلفات الكثيرة الواسعة في بيان الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة وبيان الضلال الذي عليه تلك الفرق والأفراد»، وذكر أمثلة على ذلك، ثم قال: «أترى لو كان نقدهم ضعيفًا واحتجاجهم هزيلًا –وحاشاهم من ذلك–، أو اكتفوا بإصدار الأحكام فقالوا: الطائفة الفلانية جهمية ضالة، وفلان جهمي، وفلان صوفي قبوري، وفلان من أهل وحدة الوجود والحلول، والروافض أهل ضلال وغلو ويكفرون الصحابة، ويسبونهم والقدرية، والمعتزلة من الفرق الضالة، أو كان نقدهم ضعيفًا فإذا طولبوا

---

(١) المصدر السابق (٩/١٠٣).

(٢) المصدر السابق (٩/١٤٧-١٤٨).

بالحجج والبراهين وبيان أسباب تضليل هذه الفرق، قالوا: ما يَلْزَمُنا ذلك، وهذه قاعدة ضالة تضل الأمة، أترى لو فعلوا ذلك أكانوا قد قاموا بنصر السنة وقمع الضلال والإلحاد والبدع؟ الجواب: لا وألف لا، **وإن من ينتقد المشتهرين بالسنة يحتاج إلى حجج أقوى وأوضح.**

فعلى من يتصدى لنقد البدع وأهلها: أن يسلك طريق الكتاب والسنة، ويسلك مسلك السلف الصالح في الدقة في النقد والجرح، وفي إقامة الحجج والبراهين؛ لبيان ما عليه هو من حق، وما عليه من ينتقدهم من الفرق والأحزاب والأفراد والمخطئين من ضلال وباطل أو خطأ»(1).

ولكنّ فالحًا أبى النصح ولم يستجب وأصر على الطعن في السلفيين بغير حق، فوقعت فتن عظيمة بسبب ذلك، كما ذكر ذلك الشيخ ربيع –حفظه الله– في قوله: «إن إصدار الأحكام على أشخاص ينتمون إلى المنهج السلفي وأصواتهم تدوي بأنهم هم السلفيون بدون بيان أسباب وبدون حجج وبراهين قد سبب أضرارًا عظيمة وفرقة كبيرة في كل البلدان، فيجب إطفاء هذه الفتن بإبراز الحجج والبراهين التي تبين للناس، وتقنعهم بأحقية تلك الأحكام وصوابها، أو الاعتذار عن هذه الأحكام»(2).

ومما آخذ فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي –حفظه الله تعالى– على فالح الحربي كلامه الشديد في أحد الأشخاص المعظَّمين عند السلفيين في بعض البلدان مما سبب فتنة وفرقة بينهم، كما ذكر ذلك الشيخ ربيع –حفظه الله– في قوله: «لقد كان الرفق به أولى لأن الشدة عليه زادت القضية تأزمًا، بل الطعن فيه أدى إلى فتنة كبيرة في الجزائر وفرنسا، حيث فرقت السلفيين شذر مذر، وجعلت بأسهم بينهم شديدًا.

لقد بُذِلَتْ جهود عظيمة في نشر الدعوة السلفية في فرنسا، من نشر الكتب النافعة والأشرطة والمحاضرات السلفية الجهود التي توضح المنهج السلفي وتدحض ضلالات وأباطيل أهل الأهواء.

فاجتمع على المنهج السلفي أعداد كبيرة متفقة على الحق، متعاونة على الحق متآخية في الله الأمر الذي كبت أهل الباطل من جماعة التبليغ والإخوان وفصائلهم وذلك مما يساعد على انتشار السلفية.

ولما تكلمتم –يعني: فالحًا– فيه جاءت الفتن، واشتعلت نيران الفرقة التي أوقفت الدعوة ودمرتها،

---

(1) المجموع الواضح في رد منهج وأصول فالح، ضمن مجموع كتب ورسائل وفتاوى فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي (٩/١٥٨-١٥٩).

(2) المصدر السابق (٩/١٥٨).

وجعلت بأس أهلها بينهم، ثم لا علاج من قبلكم.

ولقد تعبت كثيرًا وكثيرًا هنا وهناك، من معالجة آثار كلام من لا ينظر في العواقب، ولا يراعي المصالح والمفاسد، ولا يستخدم الرفق والحكمة، تلكم الأمور والأصول العظيمة التي يجب مراعاتها، ولا تقوم للدعوة قائمة إلا بها.

ومع الأسف أن كل من يدرك حجم هذه المعضلة وينصر هذه المعالجات المشروعة، يرمى بالتمييع وأحزاب التمييع».(١)

فأنكر عليه الشيخ ربيع تحذيره من هذا الشخص بدون مراعاة ما يترتب على ذلك من مفاسد عظيمة من إشعال نار الفتن بين السلفيين وانشغال بعضهم ببعض وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم.

وقد ناصح العلماء فالحًا بترك هذه الطريقة المشينة في الاعتداء على الأبرياء التي أضرت بالدعوة السلفية في أماكن كثيرة، لكنه يرى نفسه الفَرْد العَلَم ولا يبالي بمن ينكر عليه ويعارضه من العلماء، ومما يدل على هذا أنه لما ذكر له أحد السائلين تفرده بكثير من كلامه قال: «نحن لا يهمنا! نحن ندين الله، ونطبق أصول أهل السنة والجماعة، فما ندين الله به نقوله، نصحًا للأمة وحماية لهذا الدين»، قال الشيخ ربيع موضحًا لكلامه هذا: «أي: لا يهمه هذا التفرد بكثير من الذي يعلم حق العلم أن العلماء لا يوافقونه على تفرداته المنكرة، وأنهم مستاؤن منها، وأنهم ينكرونها عليه»(٢).

مشابهة طريقة الشيخ محمد بن هادي المدخلي لطريقة فالح في تحذيره من السلفيين

قد طعن الشيخ محمد بن هادي المدخلي في السلفيين الذين ينبزهم بلقب الصعافقة وأصدر فيهم أحكامًا قاسية جدًا، ولم يذكر أي حجة على أحقية تلك الأحكام، فقال عنهم: «هناك جنس آخر **قريبون من أهل الأهواء وإن تظاهروا بالسنة** في هذا العصر، في عصرنا هذا، في أيّامنا هذه، وهم (الصعافقة)، فإنّهم **ملحقون بأهل الأهواء**، وستكشف لكم الأيام ما عليه هؤلاء الصعافقة الفراريج الذين ظهروا علينا في هذه الأزمان، وفي هذا الزمن خاصة، في كل مكان ظهروا، هؤلاء الصّعافقة،

(١) المصدر السابق (٩/١٣٦-١٣٧).

(٢) المصدر السابق (٩/١٠٧-١٠٨).

الأغمار، الصغار، الأحداث، أحداث الأسنان وسفهاء الأحلام، ويتظاهرون بلزوم المشايخ أو القرب من المشايخ، وإذا ما جاء طالب العلم وجلس إليهم لن يبدؤه بهذا، لن يبدؤه بنشر ما عندهم من الباطل، وإنما **يتظاهرون بأنهم مع الأكابر، ومع العلماء ومع الشيوخ، وهم كذابون، والله كذابون، طعانون في العلماء، في مجالسهم الخاصة، يطعنون فيهم ويلمزونهم، إذا خلا بعضهم إلى بعض،** تكلم بعضهم مع بعض بما هم عليه في الحقيقة والواقع.

وقد ابْتُلِينا بصنف من هؤلاء ، فاحذروهم معشر الأحبة. فإذا وردتم على بلاد العلم فلا تجلسوا إلا إلى العلماء، إلى الكبار، إلى المشايخ، و احذوا هؤلاء الصعافقة الذين يقطعون الطريق عليكم، **فلهم شبهة الآن قريبة من شبهة أهل البدع،** لزوم الأكابر، لزوم الأكابر، ونحن مع الأكابر، **وهم كذابون، إذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ،** قل موتوا بغيظكم، يطعنون في العلماء وفي المشايخ، في مجالسهم الخاصة، **وهؤلاء شر على طلاب العلم وشر على طلاب السنة وشر على أبناء السنة في كل مكان،** وفي تواصلهم معهم البلاء العظيم، عن طريق وسائل التواصل في تويتر، أو في الفيسبوك، أو في انستغرام، أو فيما يتعلق بالواتساب، أو نحو هذه الأشياء الجديدة .

فإن المشايخ كانوا في السابق ينظرون ويسمعون وبعضهم، يتابع المواقع فيسمع ما فيها، أما الآن مع وسائل التواصل وأدوات التواصل هذه الجديدة فكل واحد من عنده، فمتى لعلك تتباع هؤلاء جميعًا!

ولكن الله جل وعلا فضح هؤلاء وأخرج خبيئتهم، في تغريداتهم، وفي رتويتاتهم، وفي توتراتهم، وفي فيسبكاتهم، وفي وتسباتهم ونحو ذلك، أظهرهم الله على حقيقتهم، فهم مجموعة من الصعافقة، ومجموعة من الجهلة، **ولعل بعضهم قد اندس في أهل السنة** والعلم عند الله جل وعلا، بعضهم لم يُعرَفوا إلا من سنين قريبة، سنتين أو ثلاثة أو نحو ذلك، فجاءوا بعد ذلك يحكمون على أهل العلم! ويطعنون في أهل العلم! ويتكلمون في أهل العلم! ويقطعون الطريق على طلبة العلم في الوصول إلى أهل العلم! فاحذروهم معشرة الأحبة، **فإنهم والله فيهم شبه كبير من هؤلاء الذين ذكرناهم قبل قليل؛** لأنكم اذا جلستم معهم لن يحدثوكم بما هم عليهم في بُدُوِّ أمرهم، وإنما يتكلّمون بذلك إذا استثبتوا منكم، ورأوا مَيْلَكم إليهم، واستحكموا الأمر، وعلموا من قلوبكم أنها قد اطمأنّت إليهم، فإذا ركنتم إليهم أرسلوا إليكم سهامهم ورشقوكم بها، وافرغوا فيكم سمومهم، **فاحذروهم غاية الحذر** معشر الأحبة، ولا تنظروا في مواقعهم، و لا تستمعوا إلى كلماتهم، **فإنهم والذي لا إله إلا هو شر على المسلمين وعلى أهل السنة**

عامة في كل مكان، فاحذروهم غاية الحذر! لأنهم والله لا يستفيد منهم إلا أعداء الدعوة السلفية! فإنهم قد جاؤا بالفضائح والقبائح، وأهل السنة إذا ما اطلعوا على مقالاتهم عرفوا جهالاتهم، ولكن الذي لم يطلع لا يعرف، ومن علم حجة على من لم يعلم.

وليُعلم أنهم قد أصبحوا حجة للمبطلين على أهل السنة! فأصبحوا يستدلون بهم، وعلى أنهم هم تلاميذ المشايخ وعلى أنهم هم الذين يتكلمون باسم المشايخ، لا والله كذبوا ورب الكعبة، فلا تأمنوهم ولا تسمعوا لهم ولا تأخذوا عنهم، فإن هؤلاء قطّاع الطريق على طلبة العلم، قطاع الطّريق على أهل السنة، يقطعون الطريق في ما بينهم وبين أهل العلم ، فاحذروا –حفظكم الله– أهل الأهواء، **واحذروا من المتشبّهين بطلبة العلم والعلماء، فإنهم متشبّهون وليسوا منهم في الحقيقة، هؤلاء شرّ وبلاء،** ويوشك الله –وجل وعلا– أن يفضحهم ويهتك سترهم ويفضح أمرهم ويُظهر خِزيَهم على رؤوس الأشهاد –نسأل الله العافية و السلامة–، **فاحذروا معشرة الأحبة من الركون إلى هؤلاء كما تحذرون من الركون إلى أهل الأهواء، فإن في ذلك الخير الكثير وفي ذلك دفع الشر كله بإذن الله عنكم وعن الدعوة و عن أهل السنة في كل مكان**، فاحذروا و تنبّهوا حفظكم الله»[(١)].

ومن طعونه وأحكامه فيهم:

١) أنهم أخس من حزب الإخوان المسلمين.[(٢)]

٢) أنهم لا خير فيهم، وقال عنهم: «احذروهم غاية الحذر، ولاترتبطوا بهم، ولاترجعوا إليهم، ولاتثقوا بهم، ولا تأخذوا عنهم، ولاتربطوا الناس بهم، فإن هؤلاء عاقبتهم شر والله»، وقال أيضاً: «لا ترتبطوا بهم، ولا تسمعوا لهم، ولا تتصلوا بهم، ولاتأخذوا من أقوالهم، ولا تثقوا بهم في نقلهم، فإنهم والله شَرٌّ شَرٌّ عليكم، أحذركم من ذلك كله معشر الأحبة، فإنه والله ما وراءهم إلا الفتن وتمزيق صفوف أهل السنة وصفوف السلفيين».[(٣)]

---

(١) قاله في محاضرة موجهة لمجموعة من الأمريكيين بعنوان: «التعليق على أثر الإمام مفضل بن مهلهل السعدي –رحمه الله تعالى– في التحذير من طرق أهل البدع».

(٢) قاله في درس شرح العقيدة الواسطية الذي ألقاه في مسجد بدري العتيبي يوم الأربعاء ٢٥ ربيع الأول عام ١٤٣٩هـ، حسب ما نقل عنه حمزة العقوري الليبي وغيره في تغريدة له على تويتر.

(٣) قاله في محاضرة موجهة لمجموعة من الألبانيين بعنوان: «عقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته».

٣) أنهم فجرة فجرة فجرة، أهل كذب وفجور، ودعا عليهم بقوله: «غضب الله عليهم، حل عليهم غضب الله».[١]

٤) أنهم قد آذوا السلفيين في كل مكان بالأكاذيب والأراجيف.[٢]

فهذه أمثلة على طعونه وأحكامه الشديدة التي أصدرها في أشخاص اشتهروا بالانتساب والاعتزاء إلى مذهب السلف والدعوة إليه، وموالاتهم للسلفيين، وقربهم من العلماء السلفيين بدون أن يبين الأسباب التي أوجبت هذا التحذير الغليظ منهم والحجج عليه.

ولم يبرز الشيخ محمد حتى الساعة بدعةً واحدةً أو مخالفةً لمنهج السلف عن أحد منهم، وغاية ما عنده أمور توهمها وليست صحيحة أو أمور يراها هو ويخالفه فيها غيره، وليست من المسائل التي لا يسوغ فيها الخلاف، فلا يصح التثريب فيها على المخالف فضلًا عن الطعن فيه والتحذير منه.

وتحامله وتعسفه في تضخيم الأمور ومحاولة جعل الحبة قبة لا يخفى على من ينظر إلى القضية بعين العدل والإنصاف بعيدًا عن التعصب والهوى، وكذلك تساهله في تكذيب الشخص وسعيه الحثيث في إسقاطه بذلك مع ضعف حجته عليه لاحتمال أن يكون ذلك الشخص قد وهم وأخطأ فيما قاله ولم يتعمد الكذب أو أن يكون الشيخ محمد قد وهم في فهم كلامه وتسرع في الحكم عليه، ولو سُلِك معه هذا المسلك لن يَسْلَم، وقد أنكر فضيلة الشيخ أ.د. عبد الرحمن بن صالح محي الدين -حفظه الله- هذه الطريقة في التعامل مع الأخطاء لو ثبتت[٣]، فكيف إذا لم تثبت أصلًا لكون الجارح حمل الكلام على ما لا يحتمل أو ما لم يُرِدْه صاحبه؟

وقد نقل أشرف بن أحمد البيومي عن الشيخ محمد بن هادي أنه قال له: «والله يا ولدي، إني لا

---

(١) نقله عنه تلميذه عمر لحسن ابلاضي المغربي، في تعليق له على الفيس بوك.

(٢) قاله في مجلس عقد في مسجد بدري العتيبي، ونشر تسجيله بعنوان: «آن لمحمد بن هادي أن يخرج عن صماته».

(٣) كما في مادة صوتية في الدفاع عن الشيخ عبد الله بن صلفيق الظفيري سجلت بعدما جرحه الشيخ محمد بن هادي ورماه بالكذب.

أتكلم في الرجل حتى تجتمع عندي الإدلة[١] إما بصوته أو بخطه»[٢]، لكن العبرة بالحقائق لا بالدعاوى، قال رسول الله ﷺ: «**لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودماءهم، ولكن البينة على المدِّعي، واليمين على من أنكر**»[٣].

والشيخ محمد بن هادي يدعي أنه في تحذيره ممن يسميهم بالصعافقة استند إلى ما علم عنهم من خلال ما كتبوه، حيث قال فيما نقلتُ عنه من كلامه آنفًا: «الله جل وعلا فضح هؤلاء وأخرج خبيئتهم، في تغريداتهم، وفي رتويتاتهم، وفي توتراتهم، وفي فيسبكاتهم، وفي وتسباتهم ونحو ذلك، أظهرهم الله على حقيقتهم»، وقال: «أهل السنة إذا ما اطلعوا على مقالاتهم عرفوا جهالاتهم، ولكن الذي لم يطلع لا يعرف، ومن علم حجة على من لم يعلم»، فلماذا لا يأتي بالبينة على دعواه، ويكشف للناس عن ضلالاتِهم التي استحقوا بها هذه الطعون الشديدة والاتهامات الخطيرة، ويبين مخالفاتِهم العظيمة للحق وانحرافاتهم عن الصراط المستقيم بالعلم والبرهان؟ فإن إصدار الأحكام على مشهورين بالسلفية بدون حجج وبراهين مخالف للمنهج الذي سلكه أئمة السلف وعلماء أهل السنة في الرد على المخالفين ونقد مذاهبهم، كما تقدم نقل كلام الشيخ ربيع في بيان ذلك[٤].

وقد طالبه العلامة ربيع المدخلي –حفظه الله– وقبله العلامة عبيد الجابري –حفظه الله– وغيرهما بإبراز حججه على طعونه في المعروفين لديهم بالسلفية والذب عنها وتحذيراته منهم، لكنه لم يقم عليها حجة[٥]، بل صار يتهكم بمن طالبه بذلك، حيث قال: «لقد والله وضعتم مكيالًا أنتم بأنفسكم لن نكيل لكم إلا به لأننا نكتال منكم به رضينا بذلك، فإذا كلنا لكم به فلا تزعلوا، لأننا رضينا أن نكتال منكم به، **فمهما طعنتم في معروف عندنا نعرفه بالصدق والعدالة والديانة والأمانة والله لا نقبل، حتى تأتونا بالدليل الصحيح الصريح الذي لا يحتمل التأويل**، كما قرره فضيلة الشيخ عبيد –حفظه

---

(١) هكذا.

(٢) رسالة كتبها البيومي بخط يده، ونشر صورتها على حسابه في تويتر.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (رقم ٢١٧٣٣)، وأصله عند البخاري (رقم ٤٥٥٢)، ومسلم (رقم ١٧١١).

(٤) انظر (ص ٥-٦).

(٥) قد نقل الشيخ عبد الإله الرفاعي في حسابه على تويتر أن الشيخ ربيعًا المدخلي طالب الشيخ محمد بن هادي بالأدلة على تحذيراته من الشيخ عرفات المحمدي وغيره فلم يجد عنده ما يسوغ له هذا التحذير.

الله–، **وإذا لم تأتوا به فقولكم مردود ولو كان ألف عالم**، ورَدُّنا له ليس يعني هذا الطعن فيكم، كما قرر ذلك أخونا صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحيم البخاري –جزاه الله خيرًا–. إذن نكتال من مكيالكم الذي وضعتموه أنتم، ونكيل لكم به، فإن لم ترضوا به معاشر الصعافقة، فـ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾». [1]

أقول: رد جرح السلفي الذي لم يذكر الجارح دليله عليه ليس هو المكيال الذي وضعه الصعافقة كما زعم، بل هو ميزان العدل الذي وضعه أئمة أهل الحديث أمثال البخاري ومسلم حمايةً لأعراض المسلمين من الوقوع فيها بغير حق عملًا بقول النبي ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام، عرضه ودمه وماله**»[2]. وأنا أسأله: لماذا هذا التشدد على من يطالبك بإقامة الدليل على طعنك فيمن اشتهر بالسلفية وتهويل فعله، وتحاول قلب المطالبة على المطالِب مُسفِّهًا له بدل أن تقول: سبب جرحي أنه قال كذا وفعل كذا؟ لكن هذا دال على عدم وجود الحجج المقنعة عنده على ثبوت سبب الجرح وأحقيته، وإلا فما الداعي للتهرب من إبرازها بهذا التحايل؟

وهذه الطريقة في التهكم بالمطالب بإقامة الدليل على الجرح مخالفة لطريقة علماء الحديث، فقد قال الحافظ الحاكم النيسابوري –رحمه الله– في نهاية كتاب «الضعفاء»: «فهؤلاء الذين قدمتُ ذكرَهم قد ظهر عندي جرحهم؛ لأن **الجرح لا يثبت إلا ببينة، فهم الذين أبيِّن جَرْحَهم لمن طالبني به؛ فإن الجرح لا أستحلُّه تقليدًا**». [3]

وقال الحافظ الذهبي –رحمه الله–: «ينبغي أن تتفقد حال الجارح مع من تكلم فيه باعتبار الأهواء؛ فإن لاح لك انحراف الجارح، ووجدت توثيق المجروح من جهة أخرى، فلا تحفل بالمنْحَرِف وبغَمْزِهِ المبهَم، وإن لم تجد توثيق المغموز فتأَنَّ وترفَّقْ»[4].

علق العلامة ربيع المدخلي –حفظه الله– على هذا الكلام بقوله: «وهذا كلام حق، وهو ضد ما يقوله بعض الناس اليوم: إذا بدَّع العالم شخصًا أو أشخاصًا فيجب تقليده ولا يُسْأَل عن أسباب الجرح،

---

(١) قاله حينما خرج عن صماته في مسجد بدري العتيبي.

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٢٥٦٤).

(٣) نقله الحافظ ابن عبد الهادي –رحمه الله– في الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص ٢٥٧).

(٤) الموقظة في علم مصطلح الحديث (ص ٨٨).

وفيه إلجام لمن يتسرع إلى قبول التبديع بدون حجة، وبدون بيان الأسباب»[1].

ويدندن الشيخ محمد بن هادي حول كون جروحاته لبعض من ينبزهم بلقب الصعافقة من السلفيين مفسَّرةً، وهو يعني بذلك أنها مفهومة المعنى في اللغة، ولذلك يسفِّه من يطالبه بتفسيرها؛ لأن معانيها معلومة ولا تخفى على أحد يفهم اللغة العربية[2]، فإن كان قد فهم أن هذا هو التفسير المطلوب منه فقد أساء الفهم، وإنما المطلوب هو تفسير الجرح ببيان أسبابه وذكر حججه وأدلته، كما تقدم في كلام العلامة ربيع –حفظه الله-: «**لا بد من بيان أسباب الجرح، فإذا بين العالم الناقد المعتبر حجته أو حججه المعتبرة فحينئذ يُقدَّم الجرح على التعديل**». ولا أظن الشيخ محمدًا لا يفهم هذا الأمر؛ لأنه نفسه قد قال: «الجرح **المفسَّر** هو الموضح المبين، فمثلًا إذا قيل عن فلان: «كذاب»، وأنت ما تعرف عنه الكذب، فتقول: كيف كذاب؟ فتأتي إلى هذا الرجل، أنت تعرف معنى (كذاب)، لكن تسأل: كيف حصل هذا الوصف له، بسبب ماذا؟ فإذا **فَسَّر** لك بشيء صحيح مقبول قبِلتَ، وإلا فلا، وإلا فلا»[3]، ففرَّق بين تفسير الجرح من حيث معناه في اللغة، وبين تفسير الجرح من حيث سببه والدليل عليه، فلماذا يدعي الآن أنه يُطْلَب منه بيان معاني ألفاظ الجرح، ويقول: «حتى الكذب يا ناس يحتاج إلى تفسير؟! إيش معنى كذاب؟ مسجَّل هذا الكلام، مسجل منهم هم[4]، الآن يحتاج (كذاب) إلى تفسير؟! (أحمق) مسجل منهم هم[5]، الآن يحتاج (أحمق) –لأنه صدر منا–[6] إلى تفسير! ما أدري

---

(١) المجموع الواضح في رد منهج وأصول فالح، ضمن مجموع كتب ورسائل وفتاوى فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي (٩/٤٥).

(٢) كما فعل في الكلمة التي ألقاها يوم الأربعاء ١٦ ربيع الثاني عام ١٤٣٩هـ بعنوان: «رسالة إلى طالب العلم في بيان مراتب العلم والعمل بالقواعد».

(٣) مقطع صوتي نشر على اليوتيوب بعنوان «الكذاب جرح مفسر لكن إذا قيل عن فلان كذاب وأنت ما تعرف عنه الكذب فتقول كيف كذاب؟»

(٤) يعني من ينبزهم بلقب الصعافقة.

(٥) ليبرز هذه التسجيلات التي قال فيها من يسميهم الصعافقة: لا نعلم ما معنى (الكذاب) ولا ما معنى (الأحمق) فلا بد أن يفسِّرهما لنا؛ فإن معنى هاتين الكلمتين معلوم لدى الصبيان فضلًا عمن يدرُس في مرحلة الدكتوراه، مما يوجب الشك والريبة في صدق هذا الكلام فوجب إظهار البينة.

(٦) كلا، بل لأنه قاعدة أهل السنة والجماعة، ومذهب أئمة أهل الحديث، وهو يسد الذريعة إلى الطعن في أعراض

أيش (أحمق) عندهم؟ إذا كنا نتحدث بلغة عربية واحدة فـ(أحمق) في القواميس واحد، وإذا أنت تتحدث بلغة عربية واحدة (كذاب) في القواميس واحد»[1]؟

وأعجب من ذلك أنه قال قبله بيوم: «إذا تعارض الجرح والتعديل فالجرح مقدَّم، فإذا قام موجب يوجب الشك والريبة طُلِب التفسير، فإذا فسِّر الجرح فإنه حينئذ مقدَّم على التعديل ولو كان المعدّل من كان»[2]، فهل يعني بقوله: «طُلِب التفسير» أن يأتي الجارح بالقاموس المحيط ولسان العرب ويقرأ على الطالب معاني لفظ الجرح في اللغة بناءً على كلامه السابق؟!

بالتأكيد أن هذا ليس هو المراد، وإنما يقصد إظهار الأدلة على الجرح وبيان أسبابه، فلا أدري ما الداعي للإيهام عند الحديث عن طعونه في السلفيين الذين ينبزهم بلقب الصعافقة، ولعله التهرب من إقامة الدليل على أحقية الطعون والأحكام التي أصدرها فيهم.

ومما تقدم اتضح أن الشيخ محمد بن هادي لم يبرز أي حجج على تحذيره ممن ينبزهم بلقب الصعافقة، بل يتهكم بمن يطالبونه بذلك ويوهم جلساءه أنهم سفهاء بحمل مطالبتهم على التفسير اللغوي مع علمه بأنه ليس المطلوب، ولا شك أن هذا المسلك مخالف لما قرره أهل العلم، بل هو يشبه طريقة فالح في تجريح السلفيين.

ولهذا أنكر العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله- الطريقة التي يسلكها الشيخ محمد بن هادي في الطعن في السلفيين، حيث أمر بعض الإخوة أن يبلغوا عنه قوله: «هذا الذي تقلِّدونه ما عنده ولا حجة، يطعن في السلفيين بلا حجة، والذي يرد على السلفي ينبغي أن يكون صاحب حجة وأدلة وبراهين»[3].

وكذّب العلامة ربيع -حفظه الله- من ادعى أنه يوافق الشيخ محمد بن هادي على تحذيره من

المسلمين بغير حق، ويمنع وقوع الاختلاف بين السلفيين الذي يؤدي إلى تفرقهم.

(١) من كلمة «رسالة إلى طالب العلم في بيان مراتب العلم والعمل بالقواعد».

(٢) قاله في محاضرة ألقاها إلى مجموعة من البحرينيين بعنوان: «سنوات خداعات» يوم الثلاثاء ١٥ ربيع الآخر عام ١٤٣٩هـ.

(٣) كما نقل ذلك عنه الشيخ عبد الواحد قافز المغربي في رسالة نشرها عبر الواتس آب.

السلفيين الذين ينبزهم بلقب الصعافقة[1].

وحذر العلامة عبيد بن عبد الله الجابري –حفظه الله– من الاغترار بتحذيره من تلميذه عبد الإله الرفاعي، حيث قال في الإجابة على سؤال: «تحذير الشيخ محمد بن هادي لا تغتروا به، ولا تهتموا به، ولا تلقوا له على بال أبداً»[2].

لكن الشيخ محمد بن هادي المدخلي لم يبال بمخالفتهما له؛ لأنه يرى أنه وحده صاحب الحق[3]، فهو ماضٍ في طريقته في تجريح في السلفيين والتحذير منهم ولو لم يوافقه عليها أحد من أهل العلم، وفي هذا أيضًا شبه بفالح.

وحصلت بسبب طعون الشيخ محمد بن هادي المدخلي فيمن ينبزهم بالصعافقة ثم فيمن دافع عنهم ورد جرحه لهم بغير حجج أو بحجج ضعيفة فتن عظيمة بين السلفيين، فقد أدت إلى تفرق السلفيين في كل أنحاء العالم –إلا من رحمهم الله ونجاهم من الفتن–، وصار البأس بينهم شديدًا، والكثيرون يوالون ويعادون على الأشخاص لا على السُّنَّة؛ فمن أحب من يحبونه أحبوه، ومن أبغض من يحبونه أبغضوه، ومن أبغض من يبغضونه أحبوه، ومن أحب من يبغضونه أبغضوه، وإنا لله وإنا إليه راجعون. وقد استغل أهل الفتن هذا النزاع لتأجيج النيران بين السلفيين، وتهييج صدورهم على من يعادونهم منهم، وإشغالهم عن محاربة أعدائهم من أهل البدع. ومع الأسف أن كل من يدرك حجم هذه المعضلة وينصر المعالجات المشروعة يرمى بالصَّعْفَقَة ويُصَعْفَق، فما أشبه الحال التي وصفها الشيخ ربيع أيامَ فتنة فالحٍ بحالنا اليوم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

والحاصل: أن الشيخ محمد بن هادي بطعونه الشديدة في مجموعة كبيرة من السلفيين وتحذيره منهم

---

(١) نقل ذلك عنه الشيخ عبد الإله الرفاعي في تغريدة كتبها في حسابه في تويتر بتاريخ ٢٠ ربيع الأول عام ١٤٣٩هـ.

(٢) كما في مادة صوتية نشرت على اليوتيوب بعنوان: «دفاع لفضيلة الشيخ العلامة عبيد الجابري –حفظه الله وأطال في عمره على الطاعة– عن تلميذه عبدالإله الرفاعي الجهني».

(٣) تقدم بيان انفراد الشيخ محمد بن هادي في تحذيره ممن ينبزهم بلقب الصعافقة ومخالفته لسائر العلماء بالتفصيل في الوقفة الأولى مع عبد الله الأحمد، فليراجعها من يشاء الاطلاع على ذلك.

بدون حجج وأدلة وما ترتب على ذلك من الفتن والاختلاف، وعدم مبالاته بمن يخالفه في هذا من أهل العلم قد شابه فالحًا، وهذا الذي يذكرنا بأيام فتنة فالح.

وقفة مع عبد الله الأحمد

من يقرأ رسالة عبد الله الأحمد قد يظن أنه كان من أوائل من وقفوا مع العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظ الله- ونصروه ضد فالح، وهذا خلاف الواقع؛ فإن الأحمد كان في أيام فتنة فالح متعصبًا لفالح وينتصر له على من طعن فيهم من السلفيين بدون حجج وبراهين، ولم يَدعْ فالحًا إلا حينما ظهر له أنه لن يفلح بعد أن أعلن العلامة ربيع تحذيره منه، فلا عجب من أن يتكرر من الأحمد هذا الموقف ويتعصب للشيخ محمد بن هادي وينتصر له على من يطعن فيهم من السلفيين بدون حجج وبراهين، وينجرف في هذه الفتنة ويخوض فيها بشغيباته وتحريشاته كما انجرف في تلك. وهذا يدلنا على أن انتصار الأحمد صادر عن اتباع الهوى لا اتباع الدليل، ولذا فلا عبرة بحكمه على أن الاختلاف الحاصل بين الشيخ محمد بن هادي وبين من ينبزهم بلقب الصعافقة صراع بين الحق والباطل.

ووصفه للنزاع بين السلفيين بأنه صراع بين الحق والباطل يشبه قول من ذكرهم العلامة ابن عثيمين -رحمه الله تعالى- في قوله: «المنافقون لا شك أنهم يحبون أن يتفرق المؤمنون، يفرِّقون بينهم حتى باسم الإسلام، أو باسم العقيدة، أو ما أشبه ذلك، حتى لو اختلف الناس في أمور لا علاقة لها بالعقيدة حوّلوها إلى اختلاف في العقيدة، وقالوا: هذه عقيدة، ويجب أن نحمي عقيدتنا! فيتفرق الناس، وهذه بادرة خطيرة جدًّا، ومع الأسف أنها توجد الآن في بعض الأمكنة ومن بعض الشباب، والواجب الاتفاق وعدم الاختلاف، مهما أمكن؛ قال النبي لأبي موسى ومعاذ بن جبل -رضي الله عنهما- حين بعثهما إلى اليمن: «**تطاوعا ولا تختلفا**»(١)، فأمرهما أن يطيع أحدهما الآخر حتى فيما لا يرى أنه مصلحة؛ لأن التفرق هو المفسدة»(٢).

فنحن نسأل الأحمد: أين انحرافات من تنبزهم بلقب الصعافقة عن عقيدة السلف ومنهجهم حتى

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٠٣٨)، ومسلم (رقم ١٧٣٣).

(٢) شرح اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٣٨-١٣٩).

صار ما بينهم وبين الشيخ محمد بن هادي صراعًا بين الحق والباطل؟ أبرز لنا ما ابتدعوه في دين الله، وما شرعوه للناس بغير سلطان من الله.

وإن كان يعُدُّ الخلاف الذي كان بين العلامة ربيع وفالح صراعًا بين الحق الباطل -وهو كذلك- فليحكم على من شابه فالحًا في طريقته في تجريح السلفيين وتفريقهم ومخالفة العلماء بأنه من أهل الباطل، وعلى من وافق الشيخ ربيعًا في إنكار ذلك بأنه من أهل الحق، ولا يعكس القضية.

والأمر كما يقال: لو سكت الجهال لقلّ الخلاف، وأنا أتعجب كيف يصف هذا المتعالم مخالفيه بالصعافقة وهو أحرى بأن يوصف بـ«الصعفوق»، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١].

دفعتني إلى كتابة هذا المقال شدةُ حزني على ما آلت إليه حال السلفيين من التفرق والاختلاف على غير منهج السلف وإنما تعصبًا للأشخاص وتقليدًا لآراء الرجال الذين ليس كلامهم بحجة يجب اتباعها كما حصل ذلك سابقًا، فرغبت في توضيح الحق نصرةً للمظلومين والظالمين[1]، وإيضاحًا للمتحيرين، وإقامةً للحجة على المعاندين، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا به.

وأختم هذه الكتابة بنقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في بيان الواجب عند حدوث النزاع بين المعلِّمين وتلاميذهم، لعل الله جل وعلا ينفع به من اشتبه عليه الحق في هذه الفتنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «**إذا كان المعلم أو الأستاذ قد أمر بهجر شخص، أو بإهداره، وإسقاطه، وإبعاده ونحو ذلك نُظِر فيه؛ فإن كان قد فعل ذنبًا شرعيًا عوقب بقدر ذنبه بلا زيادة، وإن لم يكن أذنب ذنبًا شرعيًا لم يجز أن يعاقب بشيء لأجل غرض المعلم أو غيره.**

وليس للمعلّمين أن يحزِّبوا الناسَ ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء، بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [سورة المائدة: ٢].

---

(١) عملًا بقول النبي ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلومًا**».

وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهدًا بموافقته على كل ما يريده، وموالاة من يواليه، ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كان من جنس جنكيزخان وأمثاله الذين **يجعلون من وافقهم صديقًا مواليًا، ومن خالفهم عدوًّا باغيًا**، بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله ﷺ بأن يطيعوا الله ورسوله ﷺ، ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله ﷺ، ويحرموا ما حرم الله ورسوله ﷺ، ويرعوا حقوق المعلمين كما أمر الله ورسوله ﷺ.

فإن كان أستاذ أحد مظلومًا نصره، وإن كان ظالماً لم يعاونه على الظلم، بل يمنعه منه، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»، قيل: يا رسول الله أنصره مظلومًا، فكيف أنصره ظالما؟ قال: «**تمنعه من الظلم، فذلك نصرك إياه**»(1).

وإذا وقع بين معلم ومعلم، أو تلميذ وتلميذ، أو معلم وتلميذ خصومة ومشاجرة لم يجز لأحد أن يعين أحدهما حتى يعلم الحق، فلا يعاونه بجهل ولا بهوى، بل ينظر في الأمر، فإذا تبين له الحق أعان المحق منهما على المبطل، سواء كان المحق من أصحابه أو أصحاب غيره، وسواء كان المبطل من أصحابه أو أصحاب غيره، فيكون المقصود عبادة الله وحده وطاعة رسوله ﷺ، واتباع الحق والقيام بالقسط، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٣٥]، يقال: لوى يلوي لسانه: فيخبر بالكذب، والإعراض: أن يكتم الحق، فإن الساكت عن الحق شيطان أخرس.

ومن مال مع صاحبه -سواء كان الحق له أو عليه- فقد حكم بحكم الجاهلية، وخرج عن حكم الله ورسوله ﷺ، والواجب على جميعهم أن يكونوا يدًا واحدة مع المحق على المبطل، فيكون المعظم عندهم من عظمه الله ورسوله ﷺ، والمقدم عندهم من قدمه الله ورسوله ﷺ، والمحبوب عندهم من أحبه الله ورسوله ﷺ، والمهان عندهم من أهانه الله ورسوله ﷺ بحسب ما يرضي الله ورسوله ﷺ، لا بحسب الأهواء، فإنه من يطع الله ورسوله ﷺ فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله ﷺ فإنه لا يضر إلا نفسه، فهذا هو الأصل الذي عليهم اعتماده».

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٤٤٣).

إلى أن قال -رحمه الله- بعد حديثه عن تحريم الانتساب لشخص المعين: «... فإن هذه الأمور إنما ولدها كون الأستاذ **يريد أن يوافقه تلميذه على ما يريد، فيوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه مطلقًا، وهذا حرام، ليس لأحد أن يأمر به أحدًا، ولا يجيب عليه أحدًا، بل تجمعهم السُّنَّة وتفرِّقهم البدعةُ**»[1].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وكتبه:

ناصر المظلوم

يوم الجمعة ٢٥ ربيع الثاني عام ١٤٣٩هـ

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/١٥-١٩).